المسرح المصرى

فى خدمة العقيدة الوطنية

الى الأستاذ زكى طليمات

للاستاذ على متولى صلاح

آفتان خطيرتان من آفات النقد يبدوان فى الأغلب الأعم مما يكتب عندنا : أولاهما الانحراف بالنقد إلى الناحية الشخصية والجنوح به نحو التهكم والتجريح . وأخراهما تحميل الكلام مالا يحمل والذهاب به إلى أبعد مما يقصد الكاتب ثم مؤاخذته على هذا المدى البعيد الذى أنشأه المؤاخذ نفسه من نسج خياله !

هاتان الآفتان ركبهما معى الأستاذ الجليل زكى طليمات فى تعقيبه على الكلمة البريئة التى كتبتها فى العدد الأسبق من « الرسالة » أحدد فيها مدى إسهام مسرحيتى « مسمار جحا » و « دنشواى الحديثة » فى خدمة العقيدة الوطنية

أما ما كتبه الأستاذ عن شخصى وما تفضل فرماني به من نقص وهوى وجور وإقساط وما إلى ذلك فسأسقطه من حسابى فشخصى أهون شئ على ، وللأستاذ الفاضل أن يرمى منه فى كلا مباح !

وأما ما كتبه فى الموضوع مناقشاً به الرأى الذى ذهبت إليه فى مدى تعبير هاتين المسرحيتين عن العقيدة الوطنية ، وفى مدى قيام مذهب « الفن للفن » l'art pour l'art فى حياتنا الراهنة اليوم ، فذلك ما سأقصر الحديث عليه فى إيجاز :

١ — يأبى الأستاذ إلا أن يقرر أن مذهب « الفن للفن » ما زال موجودا فى الحياة ، وأن الحرب ما زالت قائمة بينه وبين مذهب « الفن للحياة » ويؤكد أن الغلبة لم تكتب لأحدهما حتى الآن ... ولا أفهم معنى لهذا التشبث بذلك الرأى وقد انقضى مذهب « الفن للفن » بانقضاء القرن التاسع عشر ، وصار مفهوما — كما قلت فى كلمتى السابقة — أن الفن « الخالص » مرادف عاما للفن « الفارغ » ! والشواهد قائمة من حولنا فى كل ما يكتب الكتاب المعاصرون فقد أوغلوا فى الحياة يتناولون مشكلاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من كافة نواحيها ، وانتهى عاما عهد الأدب الذى لا يقوم إلا على الزينة اللفظية والمواكب البلاغية ، وصارت هذه الأشياء بمثابة المحفوظات التى نراها فى المتاحف ودور الآثار ! ونزل السادة الأدباء من أبراجهم العاجية وانهارت هذه الأبراج وغشوا الأسواق وجابوا الطرقات يلتمسون الإنسان فى صورته المادية النابضة بالحياة . ولا أدرى أين هم الكتاب (الذين ما برحوا يعالجون الآداب من أبراجهم العاجية) كما يقول الأستاذ الجليل؟ أين هم ؟ وما آثارهم تلك ؟ إننا — وفوق كل ذى علم عليم — لا نعرف واحدا فردا له احترامه أو مكانته فى عالم الأدب اليوم من هذا النوع العاجى الذى لم يهبط الأرض ولم يمس ثراها بقدميه الناعمتين ! ويذهب الأستاذ الجليل إلى أن هذين المذهبين يعالجان (أسلوبين من أساليب التعبير فى جوهره) والذى أعلمه أن الفرق بين هذين المذهبين ليس فى الأسلوب والتعبير ، وأن كلا منهما لا يقوم على طريقة خاصة فى الكتابة ، بل إنه لا علاقة لهما بتاتا بالأسلوب والتعبير ولكنهما يقومان على طريقة فى التفكير والموضوع : فأولهما يقوم على فكرة أن الفن لا علاقة له بالأخلاق وأنه لا يجوز أن يوضع الفن فى خدمة المجتمع لأن الفن فى ذاته غاية لا وسيلة ، وأن واجب الفنان (هو البحث عن الجمال وحبس هذا الجمال فى إطار) كما يقول أسكار وايلد

وثانيهما يقوم على أن الفن وسيلة كبرى من وسائل إصلاح الحياة وعلى أن رجال الفن والأدب مسئولون عن كل ما فى الحياة من نقص وظلم وفساد ، وأن عليهم نقع — أول ما نقع — نبعة ذلك جميعه وأن الفن الذى لا يعالج أدران الحياة هو فن فارغ لا معنى له ولا نفع فيه

فأين الأسلوب والتعبير من هذا ؟

٢ — ولا أدرى لماذا لا يختار الأستاذ فى حديثه عن (الوجودية) إلا ما قاله أشد الناس عداوة لها ؟ ولماذا يرميها بأنها « نظريات فلسفية قائمة ولفتات اجتماعية لا تخلو من الشذوذ لأنها قامت على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية الأوربية بتأثير الحرب الكبرى الماضية » ... وهى ليست من

كل ذلك فى شئ ؟ لماذا يقف منها هذا الموقف وهو العليم بعناصرها الطيبة الكريمة وبقواعدها السليمة الصحيحة ؟ أيكون ذلك من الأستاذ الجليل لمجرد أن يدحض رأينا ويفند قولنا ؟ إن كان ذلك فما أحب إلى نفوسنا أن يكون لسانه علينا وقلبه معنا ! إن الأستاذ يعلم دون شك أن الوجودية تقوم على الحرية العريضة لبنى البشر ، وتحميل الإنسان — مادامت له هذه الحرية — المسئولية كاملة غير منقوصة ، وأنها تقوم على الرجولة والصراحة ونبذ النفاق والضعف ... وإن زعيمها « جان بول سارتر » ليسعى جاهداً لتكون الفلسفة والأدب « خير معين لبنى البشر على رسم صورة العالم الذى يسعدون بالعيش فيه . . . وعلى توجيه نشاطهم وتسديد خطاهم نحو نوع الحياة التى يرضاها لهم ويرضونها لأنفسهم »(١)

ليست « الوجـــودية » شذوذاً وانحرافاً كما يرميها بذلك أعداؤها الألداء الذين أعيذ الأستاذ الكبير أن يكون منهم !

وإن شرح ماق هـذا المذهب من الزايا الجليلة يطول . ولو تفضل الأستاذ فقرأ كلتين كتبتهما عن هذا المذهب فى العددين ٩٣٩ ، ٩٤٣ من «الرسالة» لعدل من رأيه كثيراً ولآمن بأنه مذهب ينبغى الالتفات إليه ودراسته

ثم إن « الوجودية » لم تقم (على أنقاض انهيار نفسى نزل بالواعية الاجتماعية بعد الحرب الكبرى الماضية) ولعل الأستاذ يقصد « السوريالية » لا « الوجودية » فهى التى قامت على أنقاض هذه الحرب الكبرى منذ سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٩ م تقريباً ... قامت على أنقاضها وبسببها وفى ذلك يقول « أندريه بريتون » وهو من زعمائها الأولين « قامت الحركة السوريالية على فكرة تبغيض الحرب وتثبيط همم الرجال من القيام بها إن دفع بهم المجتمع يوماً إلى خوض غمارها »

٣ — أما ما قرره الأستاذ الجليل من أن كلامى « ينصب ظاهره على المسرح المصرى عامة ويهدف باطنه إلى النيل من فرقة المسرح المصرى الحديث » فالحق أن هذه تهمة خطيرة كنت أود أن يقف الأستاذ طويلا قبل أن يرمينى بها هكذا فى يسر وسهولة استجابة منه لوشاية حقيرة صغيرة . ولو أننى كنت ذا هوى لـكان هواى مع هذه الفرقة لا عليها ، فلى بها من الصلات ما يعلم أمره الأستاذ الجليل ، وما أرانى إلا عضواً فى أسرتها ، ولبنة فى صرحها الذى أرجو أن يسمق ويطول

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وليثق الأستاذ الجليل أنى لست ممن تشترى نفوسهم وأقلامهم، ولست من الذين إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون !

ولعل كاتبا لم يكتب فى الاشادة بهذه الفرقة مثل الذى كتبت عنها . وليس أقطع فى ذلك من أن أحيل الأستاذ الجليل على ما كتبت فى « الرسالة » بعددها الرقيم ٩٣٨ الصادر فى ٢٥ يونيو الماضى عند حديثى عن مسرحية « حورية من الريف » فقد قلت محييا هذه الفرقة ما نصه :—

« تحية طيبة نبعث بها إلى تلك الفرقة الناشئة الشابة المتوثبة من فوق منبر « الرسالة » وننوه بها فرقة « المسرح الحديث » التى ظهرت خلال هذا الموسم كما تظهر بواكير الندى وكما تتفتح براعم الورود فتجلو كامن الحسن وخفى الجمال

أخذ الناس اشفاق على تلك الفرقة يوم رأوها تنتظم عصافير ناعمة بضة حسبوها تزقزق على خشبة المسرح فلا تبين ، وتهتز الخشبة من تحتها فلا تثبت ، وقالوا من أين لزغب القطا أن تقوى على ما تنبهر أمامه أنفاس النسور ، ومن أين للظبى الأغن أن ينهض بما يعيا به الأسد الهصور

ولـكن هؤلاء المشفقين انقلبوا مشدوهين معجبين عندما رأوا هذه الفرقة تنهض بالروائع لـكبار المؤلفين من أمثال : موليير وتشيخوف وتيمور ، وتنهض بها نهضة يرى الناس فيها بحق أن الأمر لو كان بالسن لـكان فى الأمة من هو أحق من أمير المؤمنين بمجلسه كما قال الغلام العربى القديم

وتنهض بها نهضة يبدو فيها — أظهر وأبين ما يبدو — معنى التضامن وفناء الفرد فى سبيل المجموع ومعنى نكران الذات ، فما رأينا واحداً منهم حاول فى موقف له أن يسطع على حساب زملائه أو أن يسلب أخاه مجداً يراه حقاً له . ولعل مرد ذلك فيهم إلى ما تلقوه من ثقافة ومعرفة حرمها الـكثير من رجال المسرح الأقدمين

(١) الـكلام الذى بين الأقواس منقولا من مقدمة رواية الندم أو الذباب لجان بول سارتر ترجمة الدكتور محمد القصاص

فهل من الانصاف أن يقال عن رجل يصدر عنه هـــذا الكلام إنه يريد النيل من هذه الفرقة ؟

على أن الأستاذ الجليل يستطرد فيتهكم بى ويغمزنى غمزة يحسبها تنال منى إذ يقول « إن هذه أول مرة يطالع لى كلاما عن المسرح » ! وليس عجيبا ألا يقرأ الأستاذ شيئا مما أكتب من فصول فى الأدب والنقد والشعر منذ سنوات بعيدة ، ولكن العجب كل العجب ألا يقرأ — على الأقل — هذا الكلام الذى قدمت وهو يمسه ويمس فرقته مسا مباشرا

ولولا أنى أمقت أن أتحدث عن نفسى لدللت الأستاذ على مئات ومئات من الكلمات التى كتبت هنا وهناك منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، ولكن هذا انحدار بقدرى لا أرضاه لنفسى

ويزيد الأستاذ فيأخذ على أننى لم أحاسب الفرقة الأخرى التى لم تقدم شيئا يتجاوب مع ما يستبد بنفوس الجمهور ، وهو يعنى بها فرقة الأستاذ يوسف وهبى . وهذا كلام له خبىء ! فأرجو أن يعلم الأستاذ أننى لا تربطنى بواحد فرد من أعضاء هذه الفرقة أقل رابطة ، ولو أن هذه الفرقة ادعت أنها قامت بشىء فى سبيل خدمة العقيدة الوطنية لكان مسابنا لها عسيرا ، ولكنها لم تفعل ، وليس فى وسعنا أن نأخذ الناس بغير ما يأخذون به أنفسهم . على أنها فى ذلك مقصرة مسرفة فى التقصير دون شك

٤ — ونعود بعد هذا إلى موضوع المسرحيتين اللتين يذكر الأستاذ عنهما أنهما « من أقلام مصرية حاذقة أحست النبض الذى يدق فى قلب كل مصرى فجاءت كل مسرحية منهما تعكس فى مشاهدها صورا ورؤى مما يمر رؤوسنا فى هذه الفترة العصيبة من حياة مصر » واست أعيد هنا ما قلته فى كلمتى الأولى من أن كلتيهما لا تعبر تعبيرا صادقا تاما من هذه الناحية ؛ ولكنى أزيد فأقرر بأننى عندما أعلنت رأيى هـــذا للصديق الكريم مؤلف « مسمار جحا » ذكر لى أنه لم يؤلف مسرحيته فى هذه الأيام ولكنه ألفها منذ عام ، وأنها بين يدى الفرقة منذ ألفها ، وأنه لم يكن يقدر عند تأليفها أن الأمور ستجرى فى مصر على هذا النحو الذى جرت عليه من إلغاء المعاهدة وما تبعه ، بل إنه لآسف أن يقع تمثيلها بعد إلغاء المعاهدة وهو إنما أراد بها أن تمثل قبل إلغائها ! وتفضل فاستمع لرأيى هذا فى رضى وقبول حسن .

فهل حقا كانت بين يدى الفرقة فى هذا الوقت الذى يقرر مؤلفها الفاضل أم إنه أراد بها أن يعكس ما يمر رءوسنا فى هذه الفترة العصيبة ؟

وأما الثانية فقد أخبرنى مؤلفها الفاضل بأنها ليست جديدة ولكنها كانت تمثيلية إذاعية ، فطلب اليه الأستاذ الجليل زكى طليمات أن يجعلها مسرحية للتمثيل وحدد لها مدى لا يعدوه وجعله خمسة عشر يوما فقط ! وذكر لى الأستاذ المؤلف عندما تفضل فدعانى لشهودها فى « اللوج » الخاص به فى أول ليلة قدمت فيها ، قال لى على ملأ الناس ما يكاد يكون نصه : إنك ماض الليلة لترانى فى أسوأ حالاتى ! فهل كنت متجنيا ظالما فى هذا الرأى الهادىء الذى أعلنته عن المسرحيتين فى لطف وعدم إسراف ؟

ولم أشأ أن أقول ياسيدى الأستاذ عن هذه المسرحية — مثلا — إنها تصور المرأة المصرية تصويرا سيئا إذ تجعلها تكف ولدها عن النضال وتمنعه من الاشتراك فى كتائب التحرير وتصرخ وتولول عندما يأذن له أبوه بذلك !

لم أشأ أن أقول هذا أو غيره وهو كثير أشار إلى بعضـــه صديقنـــا الأستاذ عبد الفتاح البارودى ، ولكن الأستاذ الجليل زكى طليمات يرمينى بأننى أعتسف النقد اعتسافا وذلك فى الحق منه تجن كبير ، اللهم إلا إذا صح مايقوله البعض من أن الاستاذ قد أجرى فيها من التعديل والتغيير ما جعله يحس — بينه وبين نفسه — أن تأليفها معزو إليه ، فهو إذن يدافع عن نفسه لا عن المؤلف الذى يعرف الناس أنهاله

ومعاذ الحق أن نجمع بين هاتين الروايتين إلا فى المعنى الذى قدمت ، أما دون ذلك فبينهما فرق بعيد .

فالأولى ... وأعنى بها مسمار جحا — فن وأصالة وأناة

والثانية — وأعنى دنشواى الحديثة — عرض وسرد وحكاية وزجل لطيف ونقل « فوتوغرافى » كما وصفها بحق صديقنا البارودى

وأغلب الظن أن مؤلف الثانية انتفع كثيرا بالأولى فى بعض الحوادث والأشخاص ، فالباحث المدقق يلمح ذلك جيـــدا والاستاذ عذره فى هذا فقد ألزم زمنا غير فسيح